معارف
ISSN 1112-7007
EISSN 6804 -2600
المجلد 18/ العدد 2 (ديسمبر 2023): ص.ص: 484-499

التحول الحرفي ببلاد المغرب الإسلامي بعد الفتح

Literal conditions in the Islamic Maghreb after the Islamic conquest

د. ليلة أزرار *

جامعة البويرة، مخبر التاريخ المحلي والذاكرة الجماعية والمقاربات الجديدة، الجزائر،
l.azrar@univ-bouira.dz

تاريخ الاستلام: 2023/03/02؛ تاريخ القبول: 2023/11/20؛ تاريخ النشر: 2023/12/31

ملخص:

تميز مجتمع المغرب الإسلامي في العصور الوسطى باهتمامه بمختلف النشاطات الحرفية والصناعية بعد الزراعة طبعا، وعمل الحرفيون والصناع على تطوير نشاطهم منذ القرن الثالث هجري (3هـ) / التاسع ميلادي (9م).

حظي بلاد المغرب الإسلامي بالتقدم والتطور الحرفي والصناعي بشكل ملحوظ وأدلّ من ذلك انتشار أسماء وألقاب مثل الحرفة أو الصنعة، أو كقول الخياط، أو الخباز، أو الحداد والصباغ ... وغيرها، وهذا راجع إلى وفرة المواد الخام في المنطقة، وكذلك وجود ثروة حيوانية وزراعية ومعدنية نفيسة، ناهيك عن تقدم العمران في مدن المنطقة، ولقد تميز فيها الحرفيون والصناع بالمهارة والخبرة العالية في تلك الفترة، وكانت الحرف والصناعات تكفي لسد ضروريات الحياة المعيشية، مما جعل سكان البلاد يمتهنونها بمختلف أنواعها.

كلمات مفتاحية: العمل الحرفي؛ المغرب الإسلامي؛ الحرف والصناعات.

Abstract:

The Islamic society in medieval Morocco was distinguished by its interest in various crafts and industries, after agriculture of course. Craftsmen and industrial workers worked to develop their activities since the 3rd century AH/9th century AD. Morocco also witnessed remarkable progress and development in crafts and industry, and

* المؤلف المرسل.

names and titles indicating a specific craft or profession, such as "tailor," "baker," "blacksmith," "dyer," and others, spread. This was due to the abundance of raw materials in the region, as well as the presence of valuable animal, agricultural, and mineral wealth. Additionally, the urban development of the region played a role. Craftsmen and industrial workers were distinguished by their high skill and experience during that period, and crafts and industries were sufficient to meet the necessities of life, which made the inhabitants of the country pursue them in their various forms.

Keywords: craft work; Islamic Morocco; crafts and industries.

مقدمة:

يكتسي العمل الحرفي مكانة مهمة داخل مجتمعات المغرب الإسلامي؛ كما أنّ الدين الإسلامي يحث في العديد من نصوصه على إتقان العمل في أي مجال من مجالات الحياة شريطة أن يكون شرعيا وكسبها حلال، وبالتالي أدرك المرء في منطقة الغرب الإسلامي أهمية العمل في تحصيل قوت يومه وعياله، وأن الفرد إذا أنجز عملا توجب عليه أن يتقنه كي ينال الجزاء والثواب، ومن الآيات الدالة على هذا قول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ ۖ فَهَلْ أَنتُمْ شَٰكِرُونَ ﴿٨٠﴾﴾[1]، وجاء في صحيح البخاري ما نصه: عن النبي صلى الله عليه وسلم قال : "ما أكل أحد طعاما قط خير من أن يأكل من عمل يده، وإن نبي الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده"[2]، وبالاستناد على ما سبق يتبين لنا أن ديننا الحنيف قد حث على العمل وتعلم حرفة أو الصنعة التي يكون كسبها حلالا طيبا، فالحرفة في أي مجتمع تعكس درجة تطوره ونموه، وهذا هو الحال في منطقة المغرب الإسلامي، وعلى هذا الأساس تناولنا في مقالنا هذا موضوع التحول الحرفي ببلاد المغرب الإسلامي بعد الفتح الاسلامي.

على ضوء ما سبق يتم الإجابة عن الإشكالية الآتية:

(1) سورة الأنبياء، الآية :80.

(2) أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، صحيح البخاري، الطبعة الأولى، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2007، ص 3.

- كيف أثر الفتح الإسلامي على النشاط الحرفي في بلاد المغرب الإسلامي؟

للإجابة عن التساؤل الرئيسي وجب علينا الإجابة عن التساؤلات الفرعية التالية:

- كيف كان النشاط الحرفي قبيل الفتح؟
- ما هو الدور الذي لعبه الفقهاء وما هو دور نظام الحسبة في هذا التحول بعد الفتح؟
- ما هي أهم الأنشطة الحرفية التي مورست في المغرب الإسلامي بعد الفتح؟

يكتسي البحث أهميته في تسليطه الضوء على جانب من النشاط الحرفي في بلاد المغرب الإسلامي، وإبرازه لأهم التحولات التي رافقت الفتح في هذا المجال والذي يعكس نمو أو تأخر أي مجتمع.

للإجابة عن الاشكالية تم الاعتماد على المنهج الوصفي عند تعاملنا مع المادة العلمية التاريخية من أجل الوقوف على النصوص الأصلية التي تناولت واقع النشاط الحرفي والصناعي في بلاد المغرب قبيل وبعد الفتح الإسلامين كما استعنا بالمقارنة أحيانا الذي يقوم على استقراء المادة العلمية من مصادر متنوعة ومقارنة النصوص مع بعضها البعض.

1: مفهوم الحرفة:

أ: التعريف اللغوي للحرفة: لقد تعددت التعريفات لمصطلح الحرفة هناك من عرفها على أساس أنها صناعة وجهة الكسب فحرفة الرجل صنعته وحريف الرجل، معامله، ويقال يحترف لعياله ويحرف، أي يكسب لهم.

عرف ابن منظور الحرفة بأنها: الصناعة، وحرفة الرجل صنيعته وحرف لأهله، احترف كسب وطلب واحتال ، وقيل الاحتراف الاكتساب [1]، ونجد نفس التعريف عند ابن سيدة : أن حرفة الرجل صنعته وقد قيل أنها صنيعته [2] ويختلف الجوهري في تعريفه للحرفة عن سابقيه فيقول : الحرفة الصناعة والمحترف والصانع [3]، إذن الحرفة وهي الصناعة وجهة

(1). ابن منظور، لسان العرب، تح : عبد الله الكبير، دط، دار المعارف، القاهرة، د ت ن، مج 2، ص839.

(2). أبي الحسن علي بن إسماعيل النحوي اللغوي الأندلسي المعروف ب ابن سيدة : المخصص، د ط، دار الكتب العلمية، بيروت ، ص257 .

(3). إسماعيل بن حماد الجوهري: الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية : تح أحمد عبد الغفور عطار، ط4، دار العام للملايين، بيروت، ص1343

الكسب، وحريف الرجل وهو معالمه وحرفته المحرف وهو الذي نما ماله وصلح، والاحتراف الاكتساب والحرفة من أسماء الأضداد [1].

ب: التعريف الاصطلاحي للحرفة : فصل المؤرخ ابن خلدون في الاشكال الحاصل بين كل من مفهوم الحرفة ومفهوم الصناعة، فعرف الصناعة بأنها :ملكة في أمر علمي فكري[2]، ونجد أن ابن خلدون يميز في نصوصه بين الصناعة التي تنصرف إلى الكسب والمعاش كالفلاحة والصناعة التي تحتاج إلى دعم ومقومات مثل: صناعة البناء والنجارة والوراقة وعليه فإن الصناعة والحرفة مصطلحان يرمزان إلى شيء واحد[3].

2: النشاط الحرفي قبيل الفتح الإسلامي في بلاد المغرب الإسلامي:

تغيرت نظرة المغرب للصناعة والصناع، نظرا للتأثر بثقافة الدول التي احتلتها على غرار الرومان والوندال، بالإضافة الى التأثر بالحضارات المجاورة مثل : الحضارة اليونانية والفينيقية والحضارة المصرية الفرعونية، وقد كان الحرفي عند اليونان قديما محترما يتقاضى أجره لقاء عمله وبعد تطور الحياة السياسية في بلاد الإغريق وحيازة الأقلية على الأراضي أصبح مالك الأرض يحتقر العامل اليدوي واعتبرت الفلسفة اليونانية العمل من اختصاص العبيد والخارجين عن القانون حيث أن **أفلاطون** يرى أن العمل هو إشباع للرغبات الدنيئة{ **إن ظلام الورشة والمشقة والخضوع للآخرين ينتج عنه نفوسا مزيفة لا تدرك مفهوم الحرية وتهتم فقط بالربح** }[4]، أما تلميذ أفلاطون Platon **أرسطو Aristote** فلم يخرج عن تصور أستاذه والذي يعتقد أن الحياة عمل دون إنتاج وأن العبيد هم أداة لخدمة الأسياد فمن هنا نلاحظ أن الفلسفة اليونانية مجدت العمل الفكري واحتقرت العمل اليدوي وعلى غرار احتقار اليونان والرومان للحرفيين، كان أشراف العرب هم أيضا يزدرون العمل اليدوي ويعتبرونه{من حرف العبيد والخدم

(1). جهاد غالب مصطفى الزغلول : الحرف والصناعات في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة، رسالة ماجستير، جامعة الأردن، 1994، ص13.

(2). ابن خلدون، المقدمة، دراسة وتحقيق عبد الواحد وافي، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط4، ص864.

(3). القاسمي محمد سعيد، قاموس الصناعات الشامية، تحقيق ظافر القاسمي، 1996، ص ص 12-13.

(4). أفلاطون، الجمهورية، ترجمة شوقي داود تمراز، بيروت، المكتبة الأهلية للنشروالتوزيع، 1994، ص.275-285.

والأعاجم والمستضعفين من الناس [1].

لكن بعد مجيء الإسلام تغيرت النظرة كليا إلى العمل لأن الإسلام حث على العمل وعلى الإنتاج والكسب الحلال وهذا مصداقا لقوله تعالى: ﴿ وَقُلِ ٱعۡمَلُواْ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۖ ...١٠٥ ﴾[2]، وقول الرسول صلى الله عليه وسلم: "إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه"[3].

3 : النشاط الحرفي في عهد الممالك الوطنية :

تعددت الحرف في منطقة المغرب وشملت ما يلي[4] :

1.المنسوجات: كان النسيج يحاك على مستوى العائلات، فخدمته الأولية من تنظيف وفتل كانت الناسجة هي من تقوم بهذه الأعمال، والنول هو الذي ينسج الصوف[5]، ولبس سكان المنطقة الجلباب والمعطف الذي نسج من الصوف أما الجلباب يصنع من القماش إضافة لهذه الملابس البرنوس الذي ينسج من الصوف الأبيض ونادرا ما تمزج فيه الألوان لكن غزال يتردد في إقرار قدم البرنوس ويذكر البكري {400هـ .487هـ} هذا اللباس [6].

2.صناعة الخزف: يعتبر الخزف أو الفخار سجلا ثقافيا للمنطقة وهناك اختلاف في تقسيم الخزف الأمازيغي من قبل الأثريين من أمثال غزال وكامبس(Gzel Campus) أما غزال فصنفه إلى فخار غير مزخرف كالقدور والصحون والمصابيح وفخار مصبوغ مزخرف باللونيين الأسود والأحمر وهو مايمز الزخارف الفخارية إلى اليوم في منطقة القبائل قد ميز غزال بين النوع من حيث تقنية الصنع.

(1). يحي لطفي، العرب في العطور القديمة: مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، ط2، بيروت، دار النهضة العربية، ص340.

(2). التوبة، الآية 105.

(3). أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت - لبنان، ج4، ص 334.

(4). محمد الهادي حارش، التاريخ المغاربي القديم الإسلامي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى غاية الفتح الإسلامي، ط1، الجزائر : المؤسسة الجزائرية للطباعة 1995 ، ص 123.

(5) Gsell, Stéphan, Histoire ancienne de l'Afrique du nord, Hachette. Paris,1913, p45.

(6). البكري، المغرب في ذكر إفريقية والمغرب، ط1، مطبعة الحوكمة، الجزائر :، 1857، ص155.

3.الجص: لقد استخدمت هذه التقنية في بلاد المغرب، واستخدمت في العمارة النوميدية والموريطانية[1].

4.صناعة الزيت: إن وفرة أشجار الزيتون أدى إلى انتشار المعاصر في المناطق الريفية الممتدة على السفوح الجبلية النوميدية والموريطانية[2].

5.صيد السمك وصناعته: عرفت المنطقة المغاربية بغناها بالثروة السمكية منذ القدم وجاء هذا في المصادر الأدبية العربية الإسلامية الوسيطية، وهذا بذكر أنواع السمك الموجودة بالساحل[3] وذكرها الإدريسي وغيره.

4 : النشاط الحرفي بعد الفتح في المغرب الإسلامي :

بمجيء الإسلام تغيرت النظرة إلى العمل اليدوي والذي كان يعتبر من حرف العبيد والخدم والأعاجم والمستضعفين من الناس[4]، فقد حث الإسلام على العمل وجعل من الإنتاج تقربا إلى الله عز وجل حيث الرسول صلى الله عليه وسلم امتهن الرعي والتجارة وسبقه العديد من الرسل مثل آدم الذي مارس الزراعة وداود الذي مارس صناعة الدروع والأسلحة ونوح عمل نجارا وإدريس خياطا وإبراهيم كان بناء وإسماعيل كان صيادا، أما الصحابة رضوان الله عليهم كانوا يمارسون مهنا وحرفا سعد ابن أبي وقاص صانع نبال والزبير بن العوام عمل خياطا.

5 : نظرة فقهاء المغرب الإسلامي للحرف والصنائع:

اعتبرت مواقف الفقهاء والعلماء من الحرف دعوة لبقية أفراد المجتمع قصد الإقبال على هذه الحرف والانخراط في أعمالها دون تمييز بين أصنافها ما دامت تعتبر سببا في طلب معيشة الفرد مما هو مشروع [5]، ومن الأعلام الذين تناولوا موضوع الحرف والصنائع

(1). عبد الحميد سعد، الحياة الفنية، ثانيا تاريخ العمارة والفنون التشكيلية في دولة الإسلام، 2004، ص448، 527.

(2). العربي عقون، الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي، ط1، عين مليلة : دار الهدى، 2008، ص124.

(3) Gsell. Stéphan .op.cit.p.45.

(4). يحي لطفي، المرجع السابق، ص.340.

(5). عبد اللطيف الخلابي، الحرف والصنائع وأدورها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة فاس خلال العصرين المر يني والو طاسي، الطبعة الأولى، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، مصر، 2011، ص422.

في المجتمع الإسلامي **ابن خلدون Ibn Khaldoun 808 هجري/1406م** والذي تحدث في مقدمة كتابه العبر عن موضوع الحرف حيث صنف الحرف والصنائع حسب درجة تركيبه بما يعكس حاجة المجتمع وتطوره، وعليه فالصنائع منها ما هو ضروري وبسيط يقترن بطور البداوة ومنها ما هو مركب وكمالي يصحب المجتمعات المتحضرة والمتبحرة في العمران[1]، ويلاحظ أن ابن خلدون لا يرى مانعا في تعلم الحرف والصنائع واحترافها .

أما **ابن الحاج العبدري Ibn El-hajj Al Abdari : {737هجري /1363 م}**الذي جاء في كتابه أن أحد التابعين أوصى رجلا فقال له :يا أخي لا تسلم ولدك في بيعتين ولا في صنعتين، أما البيعتان فهما بيع الطعام وبيع الأكفان، وأما الصنعتان فهما الجزارة والصياغة، أما الجزار فإنه قاسي القلب، وأما الصواغ فإنه يزخرف الدنيا بالذهب والفضة[2].

أما **العقباني التلمساني Al Aqbani Al Telimsani** :كان له آراء في مختلف الأنشطة الحرفية وكيفية ممارستها بحيث تستجيب لمتطلبات الزبائن وتراعي خصوصية المجتمع التلمساني، ولا يمكن إغفال موقف **أبو حامد الغزالي Abou Hamid Al Ghazali**رغم أنه ليس من المغرب الإسلامي إلى أن آرائه وشهرته الكبيرة تخطت حدود المشرق إلى المغرب والأندلس وهذا الأخير نجده يميز بين نوعين اثنين النوع الأول الصنائع التي احترفها السلف الصالح، وتأتي الخرازة والتجارة والحمل والخياطة والحذو والقصارة وعمل الخفاف والحديد والوراقة [3]، وهناك من الحرف والصنائع ما تعتبر غير محمودة في نظر السلف الصالح فيضع قائمة تحتوي على الحرف التالية : صناعة النقش، والصباغة وغيرها، وأردف الغزالي : فان الصنائع والتجارات لو تركت لبطلت المعايش وهلك أكثر الخلق[4]، ومن أبرز الفقهاء الذين مارسوا مختلف الحرف والصناعات نجد عبدالملك بن زهر بن عبد الملك بن مروان، عبد الملك بن علي بن سلمة المددي، ابن الجلاد وآخرون[5].

24.ابن خلدون ، المصدر السابق، ج2، ص856 .

(2). ابن الحاج العبدري الفاسي، أبو عبد محمد بن محمد، المدخل، مكتبة دار التراث، القاهرة، مصر، ج4، ص320.

(3). الغزالي، أبو حامد محمد بن محمد، إحياء علوم الدين، الطبعة الأولى، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005، ص530.

(4). الغزالي، نفسه، ص528.

(5). انظر الملحق الأول.

من المعروف أن الحرف تعكس درجة تطور وتقدم المجتمعات فكلما كثرت وتنوعت الحرف إلا وزاد المجتمع تطورا وتقدما وازدهارا وتوسع العمران وقد أشار صاحب الأنيس المطرب إلى مجموعة من الحرف المختلفة التي ظهرت بالمنطقة نذكر منها:

الفرانون: ذكرت لنا كتب الحسبة على وجود هذه الحرفة، وذلك خلال مراقبة الفقهاء لأصحاب هذه الحرفة حيث يأمر باعة الخبز أن يتخذوا موازيين في دكاكينهم لوزن الخبز فإن وجد فيه نقصا عوقب من طرف المحتسب .

القصابون (الجزارون): وقد تمركزت حرفة الجزارة في وسط المدينة وهذا مع وجود حوانيت للجزارين وكان عدد هذه الحوانيت نحو الأربعين، وكان أهل المغرب عموما يفضلون لحم الضأن ثم لحم البقر ثم لحم الجمل في الأحياء الفقيرة [1]، وقد أشار ابن عذارى المراكشي إلى حرفة القصابين وهناك فرق بين القصاب والجزار فالقصاب: يبيع لحم الماشية مذبوحة أما الجزار: هو من يذبحها ويبيعها، وقد ذكرت كتب الحسبة بعض تعليمات المحتسب للجزارين[2].

الخياطة : ذكر صاحب الأنيس المطرب ثلاثة آلاف موضع للحياكة فقط في فاس زمن الأدارسة وقد أشار ابن خلدون إلى أن هذه الحرفة قديمة في الخليقة لأن الدفء ضروري للبشر ولقدم هذه الصنعة ينسبها العامة إلى نبي الله إدريس عليه السلام قيل كان خياط وقد أشار الونشريسي {ت 914 هجري . 1508م} في إحدى نوازله إلى وجود هذه الحرفة حيث منع الخياطين من أخذ بقايا القماش عند تفصيل الملابس عندهم، وعلى الخياط أن يرجعها إلى صاحب الثياب، فحرفة الحياكة من أرفع الصناعات التي يتعاطاها الناس في الأسواق، ومن الملاحظ أن سكان المغرب الإسلامي كانوا يتخذون الصوف في فصل الشتاء والكتان في فصل الصيف[3].

القزازون: ويطلق عليهم اسم الحريريون؛ وكان هناك سوق يدعى بسوق القزازين في

(1). روجي لوتورنو : فاس في عصر بني مرين، نقولا زيادة د ط مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، مكتبة لبنان 1967، ص127

(2). احمد بن عبد بن رؤوف، رسالة في آداب الحسبة، تح. ليفي برونفنسال، مطبعة المعهد الوطني الفرنسي لآثار الشرقية، 1995 ص90

(3). عميور سكينة : المرجع السابق، ص172

المغرب الأقصى، ونلاحظ أن هذه الحرف كان لها ضوابط وشروط تنظمها وذلك حتى تسير في ما يعود بالفائدة على المحترف والمشتري، وكان سكان المغرب الإسلامي يلبسون أحسن الثياب الحريرية خاصة السلاطين والأمراء، ومصطلح القزازة كان يطلق أيضا على أصحاب صانعي الزجاج أو القزاز وهذه الحرفة كانت منتشرة في بلاد المغرب الإسلامي .

الصباغون: صاحب هذه الحرفة يطلق عليه الصباغ [1]، وقد أشار صاحب الأنيس المطرب إلى أن عدد ديار الصباغة في مدينة فاس بمئة دار وست عشرا دارا[2]. وقد انتشرت هذه الحرفة في بلاد المغرب الإسلامي.

البزازون: ويطلق على صاحب هذه الحرفة البزاز وهو تاجر الثياب وعموم المنسوجات وقد اشتهرت هذه الحرفة حيث جعلت لها أسواق خاصة بها يطلق عليها **سوق البزازين**[3] وتخصيص سوق باسم "البزازون".

الخرازون: صاحب هذه الحرفة يسمى الخراز وهو محترف حرفة خرز الجلود بالمخراز وخياطتها لأغراض مختلفة وكان لهذه الحرفة أسواق خاصة بها **سوق الخرازين**[4].

كما تميز كثير من الصناع والحرفيين في اللباس إما لضرورة العمل كحال الدباغين والحمالين والصيادين، تميزوا لهويتهم عن نظرائهم من أهل الصناعات الأخرى، أو أهل الذمة، كما كان حال اليهود في العصر الموحدي[5].

البناؤون :لقد برزت هذه الحرفة بشكل كبير وواسع وقد تكرر مصطلح البناؤون في كتاب الأنيس المطرب وقد توسع العمران من خلال بناء المدن والفنادق والحمامات والمساجد والأسواق والحوانيت والمدارس والبيوت الخاصة والقلاع والمنشئات العسكرية .

(1). محمد عمارة: قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية، ط1، دار الشروق، بيروت، 1993م، ص165

(2). علي بن أبي زرع الفاسي، الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية ، د.ط، دار المنصور، الرباط، 1972، ص40

(3). ابن أبي الزرع الفاسي، المصدر السابق، ص49

(4). نفسه، ص70 .

(5) . رضا رافع، المهن والصنائع والحرف بالغرب الإسلامي في العهد الموحدي، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر (2)، 02017/2016م، ص.88.

النجارون: فهذه الحرفة من ضروريات العمران ومادتها الخشب وقد اشتهرت هذه الحرفة في بلاد المغرب حيث أن زيري بن باديس المغراوي أرسل هدية للأمويين عبارة عن عدد من السهام والأقواس والأسرى[1]. ويعود نشاط النجارين إلى توفر المادة الخام وهي أنواع الخشب المتعددة والتي منها: شجر العناب والزيتون والأرز والبلوط والصنوبر ...الخ.

الحدادون: ويعرف صاحب هذه الحرفة بالحداد، ولقد انتشرت هذه الحرفة بشكل ملحوظ وذلك راجع إلى نشاط وإتقان الحدادون لهذه الحرفة والحاجة الماسة لها في كل مجالات الحياة فقد صنع الحدادين السيف والخنجر والسكاكين وغيرهم[2].

الفخاريون: ويطلق على صاحب هذه الحرفة الفخاري وقد برع الفخاريون في إنتاج أنواع عديد من الأدوات والأواني الفخارية لتلبية احتياجات الناس ورغباتهم ومن جملة ذلك القدور والجرار والقلل والأباريق والكؤوس والأطباق والصحون والقوارير والمصابيح...[3].

النساخون: ومن الملاحظ أن هذه الحرفة كانت منتشرة بكثرة وكان لها أجرة تكفي صاحبها للعيش وعدم الاحتياج إلى الأمراء والسلاطين وأموالهم. ويعتبر النسخ من الحرف ذات الكسب ولهذا كانت لها مكانة مرموقة في المجتمع وقد زاد تطورها هو حاجة الأمراء والسلاطين إلى النساخ والكتاب لتدوين وهذا ما شجع النساخ على ممارسة هذه الحرفة والاهتمام بها.

الغناء: يعرف ابن خلدون هذه الحرفة بأنها: هي تلحين الأشعار الموزونة، بتقطيع الأصوات على نسب منتظمة معروفة، يوقع كل صوت منها توقيعا عند قطعة فيكون نغمة...[4].

وانتشرت الموسيقى والغناء في العصر الصنهاجي، فقد كان المعز بن باديس عازفا[5]، وبالرغم من محاربة الفقهاء للمغنيين إلا أن الموسيقى والغناء كانتا منتشرتين في بلاد الغرب الإسلامي خاصة الموسيقى الأندلسية، ولقد كان الغناء حتى في مجالس

(1). جودت عبد الكريم يوسف، الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الأوسط خلال القرنيين الثالث والرابع {9م 10م}، د .ط، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن كنون، د ت ن، ص ص.116-117.

(2). ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص413

(3). جهاد غالب مصطفى زغلول، المرجع السابق، ص142

(4). ابن أبي الزرع، المصدر السابق، ص272

(5). بشير رمضان التليسي وجمال هاشم الذويب، تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، ط2، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، 2004 ص346

السلاطين والأمراء حيث كان المغنيون يقبضون المال من طرف السلاطين والأمراء، واعتبر من المهن التي تدر على صاحبها الكثير من النقود.

التجاروالفلاحون والحصادون:

التجار: من الحرف المنتشرة بكثرة وقد أطلق هذا الاسم على كل من له صلة بالتجارة وقد أشار ابن حوقل إلى كثرة التجار والأسواق في بلاد المغرب من خلال قوله **وبها من التجاروكثرة الغرباء، وبها أيضا أسواق حادة** [1].

الفلاحون: الفلاحون هم أصحاب حرفة الفلاحة التي تعتبر ضمن الصنائع للمجتمع[2] والفلاحة معاش المستضعفين وأهل العافية من البدو[3]، ويعد الفلاحون ثاني أهم شريحة من شرائح المجتمع على اعتبارها أهم مصدر لكسب العيش [4] .

كما تميز الكثير من الصناع والحرفيين في اللباس إما بضرورة العمل كحال الدباغين والحمالين والصيادين، تميزوا لهويتهم عن نظرائهم من أهل الذمة، كما كان حال اليهود في العصر الموحدي[5].

6: دورنظام الحسبة في تنظيم الأنشطة الحرفية الحرفي:

تعود البداية العملية للحسبة في بلاد المغرب سنة 156هجري، فمارسوا أعمال المحتسب دون تسميتهم المحتسبين، أي دون تسميتهم بهذا الاسم ومنهم الولاة دون القضاة، فنظروا فيما يصلح المعاش وما يغش من السلع [6] وذلك في عصر المماليك ويرجع الفضل إلى يزيد بن حاتم الذي نظم الأسواق، ثم انتشر هذا النظام في باقي مدن المغرب الإسلامي، وتنقسم الأسواق على حساب الحرف والمهن كسوق العطارين والوراقين والدباغين.

(1). ابن حوقل النصيبي، صورة الأرض، د .ط، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م، ص 69.

(2) ابن خلدون، العبر، المصدر السابق، ج 1، ص 508 .

(3). ابن خلدون، نفسه، ص328.

(4). عيسى بن الذيب، المغرب والاندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية واقتصادية، 480540 هجري، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتورة في التاريخ الوسيط : تحت إشراف أحمد الشريفي، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، قسم التاريخ، 2009/2008، ص131.

(5) -رضا رافع، المرجع السابق، ص88.

(6). موسى لقبال، الحسبة المذهبية في بلاد المغرب، المؤسسة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1971، ص29

وفي سنة 234هجري، قام الإمام سحنون بن سعيد بتولي القضاء بإفريقية من طرف محمد بن الأغلب بفصل الحسبة عن القضاء حيث كان يرشح من يراه صالحا للحسبة، وقد عرفت الحسبة تطورا كبيرا على يد ابن سحنون وقد سار الفاطميون على هذا النهج وتولى الحسبة في دولتهم القاسم الطرزي وقد كان من أراد الإصلاح بالمغرب يأخذ شكل المحتسب في الأمر بالمعروف والنهي على المنكر مثل ما فعل أبو بزيد مخلد ابن كداد، أما عصر الدويلات فكان منصب المحتسب يعين من طرف الخليفة أو ما ينوب عنه وقد طبق المرابطون نظام حسبة صارم في المغرب والأندلس ولم يختلف الموحدون عما سار عنه المرابطون حيث رفعوا لواء الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقد استمرت الحسبة إلى ما بعد الموحدين.

خاتمة:

من خلال ما تم التطرق اليه سابقا نستنتج ما يلي:

-عرف النشاط الحرفي في المغرب الإسلامي بعد الفتح نقلة نوعية، وقد رافق هذا التحول النظرة الإيجابية للإسلام إلى العمل بصفة عامة وإلى العمل اليدوي والحرفي بصفة خاصة.
- أغلب الصحابة والفاتحين كانوا ممن يحترفون صنعة أو حرفة يقتاتون منها وقد دأب فقهاء المغرب الإسلامي على هذا النهج حيث كان أغلبهم ممن يحترفون حرفة أو صنعة كل هذا شجع السكان على الاندفاع نحو الحرف والصنائع ما عجل بالارتقاء بالنشاط التجاري.
-عمل نظام الحسبة على مرافقة هذا التحول الحرفي في بلاد المغرب الإسلامي وذلك بحل النزاعات وتنظيم لأسواق التي حملت أسماء الحرف مثل: سوق الدباغين والجزارين والوراقين والحدادين والخشابين والفخاريين ولم يكن حال الأندلس بأقل من حال المغرب فقد عمدت الخلافة الأموية بالدفع بالنشاط الحرفي إلى الأمام وذلك بتفعيل العديد من الإجراءات كتنظيم الأسواق ونظام الحسبة.

الملحق 01: قائمة لأبرز الفقهاء الذين مارسوا مختلف الحرف والصناعات في بلاد المغرب الإسلامي

الاسم	الحرفة
عبدالملك بن زهر بن عبد الملك بن مروان	الطب البديل
عبد الملك بن علي بن سلمة المددي، عرف ابن الجلاد	الطب البديل
عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن سعدون	الطب البديل

أبو الحسن من عقب بني عياد نزيل مراكش	الطب البديل
أبو جبل يعلى الفاسي	الجزارة
أبو يعقوب يوسف ابن عي المؤذن	صناعة العطور
أبو العباس أحمد بن عبد العزيز الخراز	الخرازة
أبو الحسن علي المطغري	الدباغة
أبو العباس الجياب المقعد	الخياطة
أبو سعيد عثمان البرصحي	يعمل أحجار الأرحاء
أبو عمران موسى بن يدراسن الحلاج	حلج القطن
يحي بن محمد بن عبد الرحمن التادلي	حطاب
أبو إبراهيم إسحاق بن محمد الهزرجي	بيع الإسفنج والهريسة
أبو عبد الله الصوفي	عطارا أوخياطا

المصدر: رشيد خالدي، الفقهاء والمجال الحرفي في بلاد الغرب الإسلامي من القرن 12/6 م إلى 14/8م، مجلة العصور الجديدة، المجلد 11، العدد2 ص ص172-173.

علـــم يزال به غش الباعـــة ... ينظـر في الميزان والصنـاعة

شرط قائـــم به الإســـلام ... والعـــدل لا يصـــده مـــلام

فضـــا برفق بالـــغا وذكـــرا ... ذا هيبـــة وهمـــة موقـــرا

ولا يؤدب قـــبل تحقيـــق ولا ... تأديـــب إلّا بعـــد إعلام جـلا

وفي جميـــع ما يراه مصلحة ... فليحتسب كـل فســـاد أصلحه

الملحق 02: في مقدمات الحسبة وشأن المحتسب

المصدر: مجهول، أرجوزة في علم الحسبة، تح: محمد فرقاني، منشورات نوميديا، د ط، قسنطينة، 2014.ص 97.

الأسواق	المدينة	المصدر
سوق الخضر والفواكه والحبوب	تلمسان	ابن مرزوق ، المجموع ورقة ٢-١٢-١٤-١٥-٣٩
سوق الخياطين والساجين		
سوق العطارين		
سوق السراجين		
سوق القيسارية		
سوق الخضر والفواكه	وهران	حسن الوزان ج٢ ، ص ٣٠
سوق الماشية والحبوب والزيت و العسل	معسكر	حسن الوزان ، وصف إفريقيا ج٢ ص ٢٦ — ٢٧.

الملحق 03: أهم الأسواق في المغرب الإسلامي (الدولة الزيانية)

المصدر: بلعربي خالد: ألسواق في المغرب الأوسط العهد الزياني، دورية كان التاريخية، العدد6، الكويت، ديسمبر2009 .ص 37.

المصادروالمراجع

المصادر:

1. **القرآن الكريم** :.سورة الأنبياء ، الآية :_80.
2. الأندلسي أبي الحسن علي بن إسماعيل، **النحوي اللغوي الاندلسي**، د.ط، دار العام للملايين، بيروت، د.ت.
3. البخاري أبو عبد الله محمد بن إسماعيل، **صحيح البخاري**، الطبعة الأولى، دار ابن كثير للطباعة والنشر والتوزيع، دمشق، 2007م.
4. البكري، **المغرب في ذكر إفريقية والمغرب**، الطبعة الأولى، الجزائر: مطبعة الحوكمة، 1857م.
5. البيهقي أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي، **السنن الكبرى**، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، دار ***الكتب*** العلمية، بيروت - لبنان، ج4.
6. رحلة ابن جبير، **تذكرة بالأخبارعن اتفاقات الأسفار**، دار صادر، بيروت.
7. الجوهري اسماعيل بن حماد، **الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية**، تح. أحمد عبد الغفور عطار، ط.4، دار العام للملايين، بيروت، د.ت.

8. ابن حوقل النصيبي، **صورة الأرض**، د. ط، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان، 1992م .
9. ابن خلدون، **المقدمة**، دراسة وتحقيق عبد الواحد وافي، شركة نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة، ط4.
10. الصفا إخوان، **رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء**، مراجعة خير الدين الزركلي، مؤسسة هنداوي سي أي سي، ج1، المملكة المتحدة، 2018م.
11. الغزالي أبو حامد محمد بن محمد، **إحياء علوم الدين**، الطبعة الأولى، دار ابن حزم للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2005.
12. الفاسي علي بن أبي زرع، **الذخيرة السنية في تاريخ الدولة المرينية**، د.ط، دار المنصور، الرباط، 1972م.
13. ابن منظور، **لسان العرب**، تح : عبد الله الكبير، دار المعارف، القاهرة، د. ت، مج. 2.

-المراجع:

14. حارش محمد الهادي، **التاريخ المغاربي القديم الإسلامي والحضاري منذ فجر التاريخ إلى غاية الفتح الإسلامي**، ط.1، الجزائر : المؤسسة الجزائرية للطباعة 1995 م
15. الخلابي عبد اللطيف، **الحرف والصنائع وأدوارها الاقتصادية والاجتماعية بمدينة فاس خلال العصرين المريني والوطاسي** ، القاهرة، مصر الشرياصي أحمد، **المعجم الاقتصادي الإسلامي**، دار الجبل 1881 .
16. بن رؤوف احمد بن عبد، **رسالة في آداب الحسبة**، تح ليفي برونفنسال، مطبعة المعهد الوطني الفرنسي لآثار الشرقية، 1995م.
17. سعد عبد الحميد، **الحياة الفنية**، ثانيا تاريخ العمارة والفنون التشكيلية في دولة الإسلام.
18. الطاهري أحمد، **دراسات في تاريخ الأندلس عصري الخلافة والطوائف**، ط1، 1993م.
19. عقون العربي، **الاقتصاد والمجتمع في الشمال الإفريقي**، الطبعة الأولى، عيم مليلة، دار الهدى، 2008م.
20. عمارة محمد، **قاموس المصطلحات الاقتصادية في الحضارة الإسلامية**، بيروت.
21. القاسمي محمد سعيد، **قاموس الصناعة الشامية**، تحقيق ظافر القاسمي- ناصر الألباني محمد بهجة البيطار، دار طلاس للنشر والوزيع، ، 1988م.

22. لقبال موسى، **الحسبة المذهبية في بلاد المغرب**، المؤسسة الوطنية للنشر، الجزائر، 1971

23. لوتورنو روجي: **فاس في عصر بني مرين**، نقولا زيادة د ط مؤسسة فرنكلين للطباعة والنشر، بيروت، مكتبة لبنان 1967 .

24. مجهول، **أرجوزة في علم الحسبة**، تح: محمد فرقاني، منشورات نوميديا، د ط، قسنطينة،

25. يحيى لطفي، **العرب في العصور القديمة**، مدخل حضاري في تاريخ العرب قبل الإسلام، بيروت.

26. يوسف جودت عبد الكريم، **الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في المغرب الاوسط خلال القرنين الثالث والرابع الهجري 9م و10م**.

27. 2014.

الرسائل الجامعية :

28. رافع رضا، **المهن والصنائع والحرف بالغرب الإسلامي في العهد الموحدي**، أطروحة دكتوراه في التاريخ الوسيط، قسم التاريخ، جامعة الجزائر (2)، 2017/2016.

29. الزغلول جهاد غالب مصطفى، **الحرف والصناعات في الأندلس من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة**، رسالة ماجستير، جامعة الأردن، 1994م.

30. عيسى بن الذيب، **المغرب والأندلس في عصر المرابطين دراسة اجتماعية و اقتصادية خلال 480-450هجري**، رسالة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه في التاريخ الوسيط 2008-2009.

المجلات :

27.بلعربي خالد: الأسواق في المغرب الأوسط العهد الزياني، دورية كان التاريخية، العدد6، الكويت، ديسمبر2009.

28.خالدي رشيد خالدي، **الفقهاء والمجال الحرفي في بلاد الغرب الإسلامي من القرن 12/6 م إلى 14/8م**، مجلة العصور الجديدة، المجلد 11، العدد2.

المراجع باللغة الأجنبية :

29.Gsell. Stephan , Histoire ancienne de l'Afrique de nord ,Hach elle, p**aris.**